الوظيفة التربوية لدور الحضانة بين الأهمية والإلزامية في المجتمع الجزائري

الأستاذ: باي بوعلام

قسم علم الاجتماع – جامعة تلمسان

الملخص:

قد نخطأ كثيرا عندما نتلفظ بكلمة أسرة، ونظن أنها كلمة سحرية، لها وقع عجيب في حياتنا ونتوقف، اعتقاد ترسخ في اللاوعينا الدلالي ومخيالنا الاجتماعي، ذلك أن واقع الأسرة عندنا، واقع مغاير تماما لدلالة الكلمة، فكثير منا ينسى أو يتناسى بأن الأسرة مؤسسة اجتماعية على غرار المؤسسات الأخرى تتفاعل معها، إذ تؤثر وتتأثر بها، تبعا لمصالح كل طرف، وأن صلاحها يؤدي لصلاح المجتمع والعكس صحيح.

تفاعل جعلها تتطور وفق خطوات متسارعة زادت حدتها في العقود الأخيرة، نتيجة ظروف متعددة، اقتصادية – بالدرجة الأولى حسب اعتقادنا– واجتماعية وثقافية، حيث عرفت العديد من الهزّات الداخلية، زعزعت العديد من الأمور المقدسة عندها، كالعلاقة بين الأجيال، وظائفها الرئيسية، وبنيتها الاجتماعية، وحدة الدخل والإنفاق، تولدت هذه التغيرات نتيجة الحركية الاجتماعية للمجتمع وإفرازاتها، الحداثة والمعاصرة وغيرها.

تغيرات أثرت على وظائف الأسرة، مما أدى إلى ظهور مؤسسات وفضاءات تربوية موازية لها، كالمدرسة والمسجد ومراكز الشباب ودور الحضانة، وإسنادها وظائف كانت إلى وقت قريب، وظائف أسرية قحة، خاصة الوظيفة التربوية لبعض القيم.

ودار الحضانة هي موضوع تفكيرنا في هذه الصفحات، باعتبارها مؤسسة تربوية فرضت مكانتها في المجتمعات المعاصرة، ولها دور فعال في تصحيح واستكمال الدّور التربوي للأسرة، ولأنها من بين المؤسسات التربوية التي استنجدت بها الأسرة الجزائرية في مواجهة فقرها التربوي، هذا الفضاء (دار الحضانة) الذي عرف انتشارا مهما في السنوات الأخيرة نتيجة موجة الحداثة التي تجتاح مجتمعنا.

فكيف يمكن للأسرة الجزائرية أن توفق بين متطلبات هذه الحداثة وبين الدور التربوي لها؟ معنى آخر ما طبيعة العلاقة التي تربط الأسرة الجزائرية بدور الحضانة؟ هل هي علاقة تواصلية أم علاقة انفصالية؟ وما مدى رضا الآباء بمر دودية هذا الفضاء التنشئوي؟

1- مقدمـــــة:

تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي عرفها الإنسان منذ الأزل، إذ عرفت المجتمعات أشكالا متعددة من الآسر – الأسرة الامومية، الأسرة الأبوية، الأسرة النووية...- ذلك لأنها النواة التي تسهر على دمغ وبصم أفراد المجتمع. ومنذ القدم عرفت وظائف الأسرة تراجعا مستمرا، حيث كانت هي المسؤول الوحيد عن توفير المأكل والملبس والمسكن بالإضافة إلى تربية وتعليم الأبناء والسّهر على أمنهم وسلامتهم.

ولكن مع مرور الوقت، ونظرا للحركية المجتمعية المتسارعة ،و ما أفرزته من تغيرات عميقة على مستويات متعددة: اقتصادية، سياسية، ثقافية وتربوية، وانتشار العديد من الهزات الاجتماعية المتباينة الدّرجات، كل هذا وغيره كان له تأثير فعال على مكانة الأسرة في المجتمع، ومنه على دورها ووظيفتها التربوية، بحيث مع بداية الثورة الصناعية، واتساع رقعة العمل المأجور وخروج المرأة للعمل جنبا إلى جنب أخيها الرجل، بدأت الأسرة تعرف اضطرا بات في وظائفها التقليدية، وعلى رأسها الوظيفة التربوية، فخروج المرأة إلى العمل أفرز نتائج يراها العديد من المهتمين بشؤون هذه المؤسسة الاجتماعية، بأنها نتائج سلبية أكثر منها ايجابية من الناحية التربوية، سلبية على الدور الجوهري المنوطة به ،فالأسرة إحدى الركائز المهمة في بناء الكيان التربوي للمجتمع ككل، إذ تعمل على تشكيل شخصية الجيل الناشئ بإخضاعه لعملية التطبيع الاجتماعي، بإكسابه العادات والأفكار، التي من المفترض أن تلازمه طول حياته، لكي يكون "مواطنا صالحا" بكل ما تحمله الكلمة- مع اختلاف مدلول مفهوم الصّلاح حسب المجتمعات.

وكنتيجة لما يسميه علماء الاجتماع وغيرهم ،بعملية الحداثة وما بعد الحداثة أو العصرنة،التي نشأت في مهد المجتمعات الغربية، ثم انتقل تأثيرها إلى العديد من أصقاع المعمورة ،نظرا للاحتكاك المستمر بين المجتمعات سواء بطريقة سلمية كالتبادلات التجارية والثقافية، وموجة ما اصطلح على تسميته" بالعولمة" وغيرها، أو غير سلمية، كالاستعمار (أو كما يسمّية الشيخ ابن باديس بالاستدمار)، تأثر المجتمع الجزائري إلى حد ما بهذه الظاهرة – الحداثة وما لحقها – كما تأثرت الأسرة بإفرازاتها، فخروج المرأة الأم إلى العمل دفع بالفاعلين داخل الأسرة للبحث عن استراتيجيات لحراسة أبناءها، ليتحول الهدف عند البعض إلى

هدف تربوي، نظرا لضغوط الحياة العملية لأفرادها، ومع مرور الوقت واستمرار التفاعل الاجتماعي مع كل ما يصلنا من الآخر(رمز الحداثة والعصرنة)، كان لزاما علينا أن نستورد نفس السّبل والوصفات لحل مشاكلنا الاجتماعية – ولا مناص من ذلك ما دمنا لا ننتج أفكارا.

فكانت "دور الحضانة les crèches" من بين المؤسسات الوافدة على مجتمعنا، والوصفات التي استقدمت لحل مشكل الرعاية الصحية والتربوي للطفل، أمام انتشار ظاهرة عمل المرأة خاصة الأمهات العاملات، من أجل الأخذ بيد الأسرة في دورها التربوي، فظهرت حملات دعائية- رسمية وغير رسمية – لإعلاء أهمية هذه الدّور، ووصفها بالحل الأمثل لمشكلة الأم العاملة، بل تتعداها للام الغير العاملة ما دام الطفل سيأخذ بعين الاعتبار ويلقى رعاية صحية وتربوية عالية، فانتشرت العديد من هذه المدارس في المؤسسات العمومية والخاصة.

فأضحت مؤسسة الحضانة فضاءا تنشئويا موازيا للفضاء الأسري، حاولت الجيهات الوصية أن تنظمه بربطه بالتسلسل العام للفلسفة التربوية للمجتمع، وجعلها حلقة ربط بين الأسرة والمدرسة، وفي هذا السّياق حاولنا الوقوف علاقة التي تربط الأسرة الجزائرية بهذه المؤسسة التربوية التي تعرف انتشارا واسعا بمجتمعنا، انطلاقا من مجموعة من التساؤلات أبرزها:

- ما طبيعة العلاقة التي تربط الأسرة الجزائرية بهذه المؤسسة التنشئوية؟
- ما مدى رضا الآباء بمردودية هذا الفضاء؟
-هل العلاقة التي تربط الأسرة بهده المؤسسة هي علاقة تواصلية أم علاقة انفصالية؟

أجريت الدراسة بمدينة تلمسان على عينة مقصودة شملت 80 أسرة لها أبناء يتردّدون على هذه الدّور، وحوالي 15 المعلمة، تم اختيار العينة وفق محددات منهجية صارمة. كل بحث علمي يتطلب مجموعة من الإجراءات المنهجية، من تقنيات وأدوات متخصصة لجمع المعطيات الميدانية، بدء بالمرحلة الاستطلاعية ووصولا لمرحلة التحقيق.

2- تحديد بعض المفاهيم الإجرائية:

2-1. الوظيفة التربوية: وهي تلك الوظيفة التي من أجلها استحدثت هذه المؤسسة التربوية، أي الدور الذي ينتظره المجتمع من القائمين عليها، وهو تقديم الرعاية الصحية والتربوية لا بناءه.

2-2. دور الحضانة: هي وكيل مؤقت عن الأسرة في توفير المأوى والرعاية والتربية للطفل،

وهي عبارة عن مجتمع صغير، يعيش فيه الطفل حياة اقرب إلى المنزل منها إلى المدرسة، يقضي فيها جل وقته في اللعب الحر، تتخلله فترات الأكل والراحة والنوم، هدفها رعاية الأطفال صحيا ،و تعليمهم بعض السلوكات الاجتماعية السليمة، عن طريق تقليد المعلمة/المعلم، القدوة الحسنة، وشبهها علماء النفس بالبيت الثاني للطفل، لان السنوات الخمس الأولى تعتبر من الأهمية بمكانٍ في حياة الطفل؛ حيث تصقل شخصيته ويتعلم فيها مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد، فهي تُشكِّل 85 بالمئة من معارف الطفل وإبداعاته(د. سناء أبو زيد، 2007).

1-2-2. أهمية دور الحضانة:

إلتحاق الطفل بالحضانة له فوائد لا يمكن التقليل من أهميتها، فهناك فوائد تربوية: مثل تعلم السنن والآداب والسلوكيات الطيبة، وفوائد تعليمية: مثل المحفوظات المفيدة من القرآن والحديث وبعض الأغاني والأناشيد الهادفة، وبدايات القراءة والكتابة والحساب (وذلك في السن المناسبة)، هذا إلى جانب فوائد تربوية أخرى: كتوسيع بيئة التعامل لتشمل غير أفراد أسرته، سواء المربيات والعاملات والمعلمات، وكذلك رفاقه من الأطفال، وبالتالي البدء في التعامل مع المنظومة الاجتماعية خارج نطاق الأسرة؛ مما ينمي الاستعداد المبكر للاعتماد على الذات وتحمل المسئولية، والتعود على الجو الدراسي تمهيدًا للالتحاق بالمدرسة بعد ذلك. يجب التمييز بين "دور الحضانة "و" رياض الأطفال"، لان هذه الأخيرة تستقبل الأطفال من سن أربع سنوات إلى ست سنوات، بالإضافة إلى طابعها التعليمي الأقرب إلى جو المدرسة منه إلى جو البيت. وإن كان البعض لا يفرق بينهما، باعتبارهما مؤسستين تربويتين لها نفس الأهداف التربوية، تتلخص فيما يلي:

- الرعاية الصحية، وتتضمن سلامة النمو الجسمي للطفل.
- تنمية القدرات العقلية والحفاظ على سلامته العقلية.
- تعلمهم القدرة على خدمة أنفسهم بأنفسهم، والعادات السليمة.
- تتميز رياض عن مدارس الحضانة، بأن لها برنامجا دراسيا يتماشى مع قدرات الأطفال.

3- الأدوات المنهجية:

استخدمنا منهج دراسة الحالة، نظرا لطبيعة الموضوع، أما التقنيات فاستنجدنا

بتقنيتي: الملاحظة المباشرة والمقابلة الفردية، مقابلة نصف موجهة استخدمت في المرحلة الاستطلاعية، لان المحاور لم تكن قد تحددت بعد، تمحورت أسئلتها حول وظائف الأسرة، حسب المبحوثين، ودوافع إيفاد الأبناء لدور الحضانة. ثم مقابلة موجهة ذات أسئلة محددة احتوت على محاور كبرى تتلخص فيما يلي:

- دور الأسر المعاصرة في مجتمعنا.
- دوافع لجوء الأسرة الجزائرية لخدمات دور الحضانة.
- مدى رضا الأولياء على مردودية دور الحضانة.

4- تحليل النتائـج:

سنحاول استعراض أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، من خلال التحليل الكيفي للمقابلات والملاحظات، التي أجريت مع الآباء والأمهات والمعلمات، حول محاور دليل المقابلة، الذي بدوره يخضع لأهداف البحث.

1-4- الأسرة الجزائرية وعلاقتها بالفضاء الخارجي:

يعتبر المحيط الخارجي للأسرة مجالا حيويا لضبط العلاقات الاجتماعية الأسرية في حد ذاتها، ومحيطا مكملا لمجالها الداخلي لأسباب عدة من أهمها:

- الشارع (الزنقة)،مفهوم رافق المؤسسة الأسرية إذ كثيرا ما عبر الآباء عن سخطهم ومقتهم لكل القيم الوافدة من الزنقة، باعتبارها قيما غير مرغوب فيها بسبب تباين الأنماط التنشئوية بينهما واستفحال الصراع بينهما ،و تصاعد حدّة عملية المحو التربوي بينهما، لكن إذا أمعنا النظر جيدا في العلاقة نستطيع أن نستشف علاقة كامنة ومضمرة حميمية بين الأسرة والزنقة، إذ أضحت هذه الأخيرة متنفسا مهما لأفراد الأسرة (الأب والابن والأم)، إذ غالبا ما يفر هؤلاء إلى الشارع هروبا من ضغط الحياة البيتية ومن المشاكل الأسرية، كما يطرد الأبناء خارجا للتخلص من طلباتهم الكثيرة، كما يتم الهروب من ضيق المسكن.

حول سؤال مفاده: هل تعتقد أن الشارع مكملا للتربية الأسرية؟

أجاب 75 بالمئة من المبحوثين، بأن الشارع كان ولا زال مصدر خطر على القيم

الأسرية، بينما أجاب 25 بالمئة، بان الشارع قد يكون مكملا وداعما للقيم الأسرية، لان به أفراد صالحون ولان هؤلاء هم أنفسهم أفراد أسرنا وليسوا غرباء عنا.

بيد أن الفضاء الخارجي لا يضم الشارع فقط، بل هو أوسع من ذلك بحيث يحتوي على مرافق وفضاءات تنشئوية متعددة ،أفرزتها موجة الحداثة والعصرنة التي تجتاح مجتمعنا ،و من بين هذه الفضاءات نجد ،دور الشباب والمراكز الثقافية ،قاعات الرياضة ووسائل الإعلام المتنوعة ودور الحضانة وكلها فضاءات أضحت تنافس وتزاحم الأسرة في دورها التربوي والتنشئوي، مما دفعها إلى التنازل طوعا أو كرها عن بعض أدوارها، وعن بعض قيمها، التي كانت تعتبرها قيما مقدسة، لا تفرط فيها إلى وقت قريب، حيث كانت تحتل الصدارة في تربية النشء، إلا أنها قدمت استقالتها مبكرا، لتفتح الباب أمام مؤسسات أخرى نبتت من خلال تفاعلات الحداثة، كدور الحضانة التي تمكنت من حجز مكانتها ضمن الزخم التنشئوي الذي تعرفة المجتمعات لظروف متعددة، حيث بينت المقابلات (46 بالمئة) إن لدور الحضانة دور مهم في تشكيل شخصية الطفل، خاصة في بعدها الاجتماعي، إذ تسمح له بربط علاقات اجتماعية مع قرناءه، زيادة على أنها تساعد الأمهات العاملات والغير العاملات في رعاية أبناءهن.

تقول إحدى الأمهات وهي عاملة بمؤسسة خاصة "ساهمت هذه الدار في تخليص ابني من الانطواء"، وتصرح أم أخرى (إدارية)،" تمكنت ابنتي من ربط صداقات مع زميلات لها بدار الحضانة، وأصبحت كثيرة الحركة"، ويقول معلم زوجته أستاذة "والله إن هذه المدرسة ساهمت في تخلصها من القلق الذي كنا نعيشه عندما نتوجه إلى عملنا".

أما النسبة الباقية فترى العكس، حيث تعتبر دور الحضانة مؤسسات عاجزة عن تأدية وظيفتها على أكمل وجه، كما هو الحال في المجتمعات الغربية، إذ شبهها أحد الآباء بمكان يتعلم فيه الأطفال الطالح أكثر من الصالح، إذ يرى أن ابنه أصبح يتلفظ بكلمات فاحشة لم يكن يسمعها من قبل ذهابه إلى هذه الدار.

وتقول موظفة بالبلدية "أن ابنتها كانت مطيعة ومهذبة، لكنها اليوم عنيدة وتقول كلاما غريبا"، وتقول أخرى– معلمة– "ذات يوم دخلت على ابنتي وهي تبكي، فلما سألتها قالت أن المعلمة شتمتها، فأين التربية"؟

يمكننا أن نستخلص من هذه التصريحات عدة نتائج من أهمها:

- اختيار دار الحضانة هو اضطرار وليس اختيار، فالعامل الاقتصادي (الشغل)، هو العامل المحدد في عملية إيفاد الأطفال إلى الدور، ويمكن أن نلخص تدرج دوافع التعامل مع دور الحضانة كما يلي:

- **الدافع الاقتصادي:** يتمثل بالأساس في عمل الأم كل أو بعض الوقت، من اجل إعانة الأسرة ماديا، أو تحملها المسؤولية بمفردها إذا كانت مطلقة أو أرملة.

- **الدافع الاجتماعي:** استطاعت هذه المدارس أن تلبي خدمة اجتماعية مهمة، تتمثل في تنمية الجانب الاجتماعي في شخصية الأطفال وتلقينهم بعض القيم الاجتماعية التي تساعدهم في التكيف مع المحيط الاجتماعي داخل البيت أو خارجه.

-**الدافع التربوي:** من بين الأسباب التي دفعت الأسر إلى اصطحاب أبنائهم إلى الحضانة، هو اعتقادهم أنها تقدم نوعا من التنشئة الما قبل مدرسية، إذ تسمح للطفل بولوج الفضاء المدرسي بدون اضطرا بات كثيرة، ويدخل حالة الفطام الأسري تدريجيا ومبكرا، مما يساعده على تخطي هذه الأزمة النفسية، قبل تعامله مع البرنامج التعليمي.

- نلاحظ عدم رضا الفاعلين على الخدمات التي تقدمه هذه المؤسسة.

وعن سؤال: هل تساعدك دور الحضانة في تربية طفلك أم تعيقك؟

جاءت الإجابات على النحو التالي:

نسبة 56 بالمئة ترى أن دور الحضانة لا تقوم بدورها التربوي على أكمل وجه، لأسباب عدّة:

- الكفاءة التربوية للمعلمة /للمعلم:

من بين الأسباب التي تعيق مردودية هذه المؤسسة، ضعف كفاءة القائمين عليها، لأنهم لا يتمتعون بكفاءة تربوية وحتى خلقية، "فليس كل فرد يمكن أن يكون مربيا "يصرح أحد المبحوثين وهو سائق سيارة أجرة، وتقول طباخة بالمطعم المركزي الجامعي " تعلم ابني قلة الحياء من معلمته ومن زملاءه، لأنها لا تتمتع بأخلاق عالية"، وتسترسل أحدى الممرضات" لقد عانيت من أزمة نفسية عانت منها ابنتي، نتيجة كلام المعلمة، ألفاظ السّب والشتم".

توحي لنا هذه الأجوبة أن هناك نقص في الكفاءة التي يتمتع بها الفاعلين في دور الحضانة، لافتقارهم لمعارف سيكولوجية خاصة بالنمو الطفل وحاجاته ومتطلباته العمرية (علم النفس النمو)، فالشتم والسّب بالكلمات الجارحة له وقع نفسي على تكوين شخصية الطفل، أكثر من الضرب الجسدي، ويعبر أحد علماء النفس بقوله: '' les mots sont plus blessant que les coups''، فالجرح النفسي أكثر ألما من الجرح الجسدي وأبطئ برء.

–هل كل من هب ودبّ يصلح أن يكون مربيا؟

أجمع العديد من المهتمين باختلاف تخصصاتهم، على ضرورة توفر مجموعة من الشروط لمعلم دار الحضانة، أجملها د. سناء أبو زيد (007) فيما يلي:

– الاقتناع بالمهمة وحبها وأدائها كرسالة.

– التحلي بحسن الخلق، وخاصةً الحلم والصبر والبشاشة والمرح.

– الحرص على الارتقاء دائمًا علميًّا وعمليًّا لمواكبة التطورات والمستجدات.

– التمرس على استعمال الوسائل التعليمية المختلفة وحسن توظيفها لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية.

– التدريب المستمر على مهارات التدريس والمهارات الفنية والعملية المطلوبة لحسن أداء مهمتها.

– الحرص على التزود بالمعرفة اللازمة لحسن القيام بدورها، ومن ذلك طرق التدريس ومهارات التدريس والوسائل التعليمية، وخصائص المراحل السنية التي نتعامل معها واحتياجاتها ومشكلاتها وكيفية التغلب عليها.

– المادة الملقــنة:

بولوج الطفل عالم الحضانة، يبدأ في استقبال مجموعة من الإرشادات والتوجيهات البسيطة، يقوم باستبطانها وتمثلها كل حسب قدراته العقلية، تكون بمثابة النقش على الخشب يصعب إزالته مستقبلا، إلا بكسر الخشب، وقد قيل قديما " العلم في الصغر كالنقش على الحجر"، لذا يجب على المعلم أن يحترز من كلماته، وينتقي الألفاظ السليمة.

الحضانة هي وكيل مؤقت عن الأسرة في توفير المأوى والرعاية والتربية للطفل، ومن ثَمَّ فإنها

مكان، وبشر، وفكر، وتفاعل يترتب عنه تعلم مجموعة مهارات وسلوكات تصاحب الطفل مدى الحياة، لذا يجب اخذ بعين الاعتبار مضمون العملية التربوية: بتبني المناهج الدراسية والتربوية المناسبة للمرحلة السّنية، وممارسة الأنشطة التعليمية والفنية والرياضية والاجتماعية الهادفة والمتماشية مع المرحلة العمرية. طرحنا سؤالا على المبحوثين، على النحو التالي: ما المضمون التربوي الذي تراه مناسبا لطفلك؟ فجاءت الإجابات في نقاط أبرزها:

- تكيف الطفل مع فضاء الحضانة وما فيها ومَن فيها.
- العمل على استكمال التربية الأسرية واستدراك جوانب النقص ومعالجتها.
- تعليمه بعض الآداب الاجتماعية، البسملة، الحمدلة، الشكر، التحية ....
- إعداده للتّمدرس، بإزاله عقدة الجلوس أمام المعلمة، والاحتكاك بزملائه.
- تحفيظه ما تيسر من قصار السور ومن الأحاديث قليلة الكلمات والأناشيد السهلة الهادفة.
- حكاية القصص ذات المغزى الهادف.
- تعليمه بعض الحركات الفنية والرياضية.
- تعليم الأسس البدائية للقراءة والكتابة والحساب (دون تعجل).

– هياكل استقبال الأطفال:

من بين الأمور التي يجب أن تتوفر لنجاح مهمة دار الحضانة، المكان أي البيت المريح، ولكي يكون كذلك يجب توفر ثلاث مواصفات رئيسية: تبدأ بالمكان،حيث يجب أن يكون الاتساع مناسبًا لعدد الأطفال، لكي يتحرك الطفل بكل حرية،ويجب توافر الأفنية والحدائق ووسائل اللعب، مع مراعاة التهوية والإضاءة، وتغييب كل ما يسبب خطرًا أو ضررًا للأطفال،كالأسلاك العارية، والأشياء الحادة أو المدببة، والكيماويات الخطرة المستخدمة في مواد تنظيف اللعب، مع توافر دورات المياه الصحية بعددٍ من المراحيض والصنابير يتناسب مع عدد الأطفال، مع الحرص على نظافتها وصيانتها، وهناك معايير عديدة يجب أن تتوافر في بناء الحضانة، منها:

– الإنارة المناسبة، التهوئة الدائمة بالإضافة إلى الحرارة المعتدلة (22-25°).
– لا يجب أن تكون الحضانة تحت الأرض.

– من المفضل أن تتضمن الحضانة حديقة.

– واقي للأبواب لحماية أصابع الأطفال أثناء انغلاق الأبواب.

– يجب توافر غرفة لكل نشاط معيّن.

– يجب تغطية الأرض والدرج بنوع خاص من الكاوتشوك، لحماية الأطفال من وطأة الارتطام بالأرض، في حال التعثر أو السقوط.

الخاتمـــة:

حاولنا قدر الامكان في هذه الدراسة الوقوف على طبيعة العلاقة الموجودة بين الأسرة ودور الحضان، والاستفسار عن نوعها، هل هي علاقة انفصالية أم علاقة تواصلية؟ هذه المؤسسة التي ظهرت كنتيجة لتفاعلات العملية الحداثية التي يعرفها المجتمع الجزائري، كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى التي انتشرت مؤخرا في مجتمعنا، لنخلص إلى رأيين متقابلين، رأي يعتقد أن هناك علاقة وطيدة بين الأسرة والمؤسسة الحضانية، إذ تعتبر وكيل مؤقت عنها تقدم تنشئة اجتماعية متميزة للطفل، اذ تعمل على صقل وبلورة مشاعر ومواهبه، فتصير حلقة تربوية تواصلية مع الأسرة ومع المدرسة ،و مما سبق نستنتج أن دور الحضانة لها وظيفة تكميلية للتربية الأسرية والتعليم المدرسي، وفضاء مساعدا للأمهات، خاصة الأمهات العاملات.

بينما يعتبرها البعض فضاءا يكهرب التربية الأسرية، إذ تقوم بمحو وتشويه القيم التربوية الأسرية، ورغم ذلك يصرّ الآباء على إرسال أبناءهم إلى هذه الدور، مجبرين لا مخيرين، هذا الاضطرار سببه عمل الأم والأب، فالعامل الاقتصادي عامل مؤثر في هذه الظاهرة، دون تغييب العامل الاجتماعي والعامل التربوي والثقافي.

تعتبر مرحلة الطفولة أهم فترة في حياة الإنسان إذ هي الأساس الذي يعتمد عليه نمو الطفل في جميع نواحي شخصيته، وذلك لما تمتاز به هذه المرحلة من مرونة وقابلية للتأثر والتّشكل، وانسب مكان لذلك الفضاء الأسري، هذا ما جعل علماء الاجتماع يؤكدون أن "الأسرة هي أصلح بيئة للتربية وتكوين النشء خصوصا في سنوات عمره الأولى، ذلك أن الصلة بين الوالدين والابن تكون أمتن الصلاة، والعلاقة بينهم أمتن العلاقات التي يمكن أن توجد بين الأفراد أو الجماعات، ومن هنا كانت نشأة الطفل بين والديه خير فرصة لنموه

الجسماني والعقلي والاجتماعي، كما أنها خير ضمان لتهذيب انفعالاته ووجدانه، وخير واسطة للسمو بسلوكه العام (تركي رابح 1989)، ورغم ذلك تبقى الأسرة في حاجة ماسة لمساعدة مؤسسات تربوية أخرى تساندها في وظيفتها التربوية، نظرا لمستجدات العصر وافرازات الحداثة، لذا على المجتمع أن يخطط جيدا لنسج علاقة تواصلية مع هذه الفضاءات حتى يتمكن من الحفاظ على ملامح هويته، وإلا سيعصف بها تسونامي العولمة و يتيه النشء في الأخير يجب أن نلفت انتباه القارئ الكريم أن هذه المحاولة لا تطمح أن تكون حوصلة جامعة مانعة للموضوع، بل نقطة انطلاق لغيرنا لمباشرة أبحاث أكثر علمية.

المراجع:

1. تركي رابح (1989) ،أصول التربية والتعليم، طبعة ثانية منقحة ومعدلة، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
2. تركي رابح، التعليم الحضاني في نظامنا التربوي، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 36، السنة السادسة، ديسمبر، يناير، 1977 من ص 61-74.
3. محمد بوعلاف،النظريات التربوية المعاصرة، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 2001، من تأليف Y.Bertrand.
4. مصمودي زين الدين ،دور المدرس في العملية التربوي التعليمية، مجلة الرواسي،عدد10،جانفي – فيفري ،1994، من ص 10–19.
5. منهاج التربية التحضيرية، أطفال في السن 5-6 سنوات، مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، 2008.